

الفصل الأول

الدلالة Denotation /Reference

1- تمهيد

2- الدلالة

علم المعنى الدلالي / العقلي / الحرفي

1- تمهيد :

شهدت دراسة علم المعنى بشقيه السمانتيكي (Semantics) والبراجماتيكي (Pragmat-ics) تقدماً ملموساً في النصف الثاني من القرن العشرين، ويستدل على ذلك من البحوث العلمية المنشورة في الدوريات اللسانية والفلسفية، ومن الكتب المنشورة المتخصصة في هذا المجال، ناهيك بالبحوث غير المنشورة في رسائل الماجستير والدكتوراة في الجامعات الأوروبية والأمريكية.

إلا أن علم المعنى في اللغة العربية لم يحظ بالعناية التي يستحقها بل ظلت آفاقه في حدود ما قدمه البلاغيون وبخاصة العلامة العملاق عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري من دراسات في علوم البلاغة الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع.

لكن بعض المتخصصين في اللغة العربية في الوطن العربي من أمثال إبراهيم أنيس، ورمضان عبد التواب، وأحمد مختار عمر، وتمام حسّان، وإبراهيم السامرائي، وجرجي زيدان، ومحمد المبارك، وعبد العزيز عتيق، ونهاد الموسى، وآخرين لا يتسع المقام لذكر فضلهم، قدّموا دراسات حديثة في علم اللغة تطرقت إلى موضوعات في اللغة العربية وأبنيتها الصوتية والصرفية والنحوية ومكانتها الحضارية والإنسانية مستفيدين من معطيات علم اللغة في النصف الثاني من القرن العشرين ومؤكدين بذلك أهمية اللغة العربية وموقعها على الخريطة اللغوية في العالم ودورها في دفع نظريات علم اللغة وآفاقها إلى الأمام.(أنظر: عفيف عبد الرحمن، 1981).

أما ما نشره علماء اللغة العربية في صلب علم المعنى الحديث فهو محدود جداً، فعلى سبيل المثال خصص تمام حسّان الفصل الثامن من كتابه : اللغة العربية : معناها ومبناها (1985)، لموضوع الدلالة: ص 335-372 أكد فيه أن فكرة المقام "Context of Situation" عامل أساسي في علم الدلالة.

يقول تمام حسّان : "فكرة المقام" هذه هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي يبنى عليه الشق أو الوجه الإجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الإجتماعية التي تسود ساعة أداء "المقال". ص337.

لا يهدف هذا التقديم الموجز إلى إجراء مسح تاريخي للدراسات والبحوث التي نشرها علماء العربية وطلابها، وسيرد ذكر بعضهم في المواقع المناسبة في هذا الكتاب اعترافاً بفضلهم كما ينبغي.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى بعض المعاني التي تدل عليها مشتقات الفعل "عنى" التي تشابه تظيراتها من مشتقات الفعل "Mean" في اللغة الإنجليزية، كما فصلها أوجدن ورتشاردن، (Ogden and Richards (1923

أ- ما معنى كلمة "ديموقراطية"؟

ب- ما معنى عبارة "ترشيد الإستهلاك"؟

ج - أظنه يعني ما يقول؟ أم أنه يسخر منّا؟

د- لا يقول السياسيون ما يعنونه إلا نادراً.

هـ - هذا ما أعنيه.

و- ذلك العارض يعني المطر.

ز- ما معنى هذه الرموز الرياضية: < ، x ، ÷ ؟.

في (أ) ، (ب) سؤال عن مدلول الكلمة والعبارة.

في (ج) ، (د) إشارة إلى أن المتكلم قد لا يعني ما يقول، وقد يقول ما لا يعنيه.

في (هـ) "أعنيه" أي "أقصده".

في (و) "العارض" رمز طبيعي للمطر.

في (ز) سؤال عن معنى ثلاثة رموز عرفية (غير طبيعية).

فمثلاً س < ص تعني : س أكبر من ص.

(أ) ، (ب) ، (و) ، (ز) تقع من الناحية الفنية ضمن علم السمانتيكية (Semantics)، في

حين تقع (ج) ، (د) ، (هـ) ضمن البراجماتية اللغوية، كما سيتضح فيما بعد.

نختم هذا التمهيد بإشارة أخرى هي أن علم المعنى تناوله الفلاسفة وعلماء النفس وغيرهم إضافة إلى علماء اللغة، فالفلاسفة عالجوا علم المعنى من حيث العلاقات الذهنية وقوانين التفكير السليم، والحق والباطل، والصواب والخطأ، والصحيح وغير الصحيح، والتضمين

والإقتضاء المنطقي وسواها، وعلماء النفس اهتموا بالمعنى من حيث فهم الفعل، والإدراك، والدافعية، والإشراف، والتعلم، والتعليم، والشعور واللاشعور واكتساب اللغة وغير ذلك. أما اللغويون فقد انصب اهتمامهم على دراسة المعنى من حيث دلالة المفردات والتراكيب، والعلاقة بين الرمز اللغوي ومدلولاته، والمعاني الظاهرة والضمنية والإجتماعية، وكان لهم محاولات جادة لوضع نظرية لعلم المعنى تشكل جزءاً محورياً من نظرية علم اللغة الحديث، كما سيتضح من فصول لاحقة في هذا الكتاب إن شاء الله.

(أنظر: ليونز (199 - 109 : 1977) Lyons)

ليتش (1981 : ix) Leech

بالمر (1981 : 12 - 16) Palmer

تمام حسّان (1985 : 24 - 29).

2- الدلالة : (Reference / Denotation)

تعد اللغات البشرية أرقى وسائل الإتصال وأكثرها تعقيداً بين الأفراد والجماعات فاللغة العربية مثلاً، شأنها شأن اللغات الحيّة، تقرن الرموز اللغوية (الأصوات/ الأحرف كالكلمة المنطوقة أو المكتوبة) بدلالاتها في عالم الخبرة الإنسانية، فكلمة "حصان" (نطقاً أو كتابة) تدل على حيوان أو فئة من الحيوانات يعرفها الناطقون باللغة العربية بخصائصها وصفاتها التي تميّزها عن الفئات الأخرى من الحيوانات، وكلمة "الزّهرة" تدل على كوكب بعينه، يدور حول الأرض وله صفات فلكيّة محددة من حيث الموقع والحجم ومدة الدورة الكاملة وساعات المشاهدة بالعين المجردة إلخ.

وكلمة "إيمان" تدل على مفهوم عقائدي / ديني مجرد يشكّل اتجاهاً سايكولوجياً وقيمة اجتماعية تترجم إلى سلوك واقعي ذي معالم مركزيّة واضحة.

هذه العلاقة بين الرموز اللغوية وما تدل عليه في عالم الخبرة الإنسانية علاقة محورية في علم المعنى الحديث، وهي علاقة عرفيّة في الأصل يتوارثها الناطقون بالعربية جيلاً بعد جيل، ومما يدل على أنها علاقة عرفيّة أن ما يناظر هذه الكلمات باللغة الإنجليزية مثلاً (horse, Venus, faith) لا يمكن لعربي التنبؤ بمدلولاتها دون تعلم مسبق، كما لا يمكن لناطق بالإنجليزية لا يعرف العربية أن يتوصل لمعرفة هذه الرموز تلقائياً.

كان العالم اللغوي السويسري فردناند ديسوسور (Ferdinand de Saussure) في بداية

الدلالة

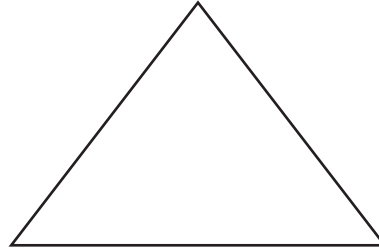
القرن العشرين قد وضع مصطلحين للعلاقة بين الرمز (أو الدالّ) والمدلول وهما :

1- Signifier (الرمز : الكلمة مثلاً)

2- Signified (المدلول في عالم الواقع)

كما حاول أوجدن ورتشاردز (11 : 1923) Ogden and Richards توضيح تلك العلاقة بما سمي مثلث الدلالة (Triangle of Signification) (أنظر : ليونز (96 : 1977) Lyons، بالمر (24 : 1981) Plmer، ألمان، (71 : 1957) Ullmann).

المفهوم (Concept)



(Symbol) الرمز (الكلمة)

(Referent) (المعنى)

or

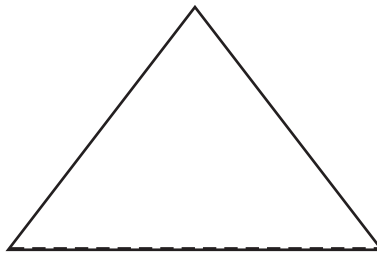
or

(signifier)

(Signified)

وقد أعطيت رؤوس المثلث مسميات مختلفة منها - كما يقول ليونز (ص96) (1977) Lyons :96)

Concept



Sign

Significatum

وفي هذا النموذج العقلي للدلالة يرتبط الرمز (أي الكلمة إلخ) بالمفهوم العقلي برابطة سببية مباشرة، وكذلك فإن المفهوم العقلي تربطه رابطة سببية مباشرة بالمدلول (أو

الشيء) الذي في عالم الخبرة الإنسانية، أي أن الكلمة تدل على الشيء بتوسط المفهوم العقلي، وليست هذه الدلالة مباشرة ولذلك جعلوا الخط الذي يصل الرمز (أي الكلمة) بالشيء خطأً متقطعاً في مثلث الدلالة، في حين أن الخطين الآخرين (أي ضلعي المثلث الآخرين) جاءا على شكل خطين متصلين، فبالنسبة للمتكلم، يستدعي الشيء الذي في عالم الخبرة فكرة أو مفهوماً عقلياً، وهذا بدوره يستل أو يستدعي الكلمة من المتكلم.

هذا المذهب الفلسفي العقلي لم يقبله كل الذين تناولوا علم المعنى، بل إن نفرًا منهم - فلاسفة ولغويين- أنكروا المفهوم وسيطاً بين الكلمة ومدلولها واكتفوا بالقول إن العلاقة بين الرمز والمدلول علاقة مباشرة سببية، فعلى سبيل المثال يقول بالمر (1981 : 25) ما معناه :

إن هذا الأنموذج العقلي للدلالة غير مرض البتة، معللاً ذلك بقوله :

"فليس واضحاً معنى التفكير بمفهوم. لقد زعم بعض العلماء أن لدينا صورة ما لكرسي عندما نتحدث عن الكرسي. إلا أن هذا بالتأكيد غير صحيح. فأنا أستطيع أن أتخيل كرسيًا في عين عقلي، ولكنني لا أفعل ذلك في كل مرة أنطق فيها بكلمة كرسي".

مهما يكن من أمر فإن هذا الموضوع الجدلي (أي الدلالة بوساطة أو غيرها) يصعب حسمه إثباتاً أو نفيًا ضمن المعطيات المعروفة حالياً عن العقل البشري. ثم إن مبدأ الدلالة لا يتأثر كثيراً من حيث جوهره سواء قيل بوساطة المفهوم أو بعدم وساطته، أي أن الكلمة ستظل ترتبط بمدلولها في عالم الواقع.

لكن هل الدلالة المشار إليها تقتصر على الرموز اللغوية التي تدل على محسوس أو ملموس بالحواس؟ والجواب عن ذلك بالنفي، فسواء أكان المدلول حسيًا أم غير حسي، واقعياً أم خيالياً وخرافياً فإن نظرية الدلالة تظل سليمة، والأمثلة الآتية توضح ذلك:

1- كلمة "الغول" ليس لها مدلول حسي ولا وجود في العالم الذي نعيش فيه، ومع ذلك فالكلمة مستعملة في اللغة العربية ويتقبل العرب مدلولها على عواهنه، وكذلك كلمة "العنقاء" وسواها من الرموز ذات المدلولات الخرافية التي هي جزء لا يتجزأ من حضارة العرب ولغتهم.

2- كلمة "الجن" لها مدلول يؤمن به عامة المسلمين وخاصتهم لورودها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ويتداولها الناس وقد سلموا بدلالاتها تسليماً.